تحولات الشخصية في رواية الصحراء

رواية "نزيف الحجر"لإبراهيم الكوني أنموذجا

د.إيمان برقلاح

ملخص: تعد رواية الصحراء من الروايات التي حققت شهرة كبيرة على الساحة الأدبية والنقدية في الآونة الأخيرة ،حيث استوحت شخصياتها و فضاءاتها و حتى أحداثها من طبيعة الحياة الصحراوية .

و يعد الروائي الليبي إبراهيم الكوني من المؤسسين الفعليين لهذا النوع الروائي ،حيث جاءت كل رواياته نابعة من تفاصيل الحياة الصحراوية ،و لأنّ الشخصية في العمل الروائي تمثل الركيزة التي يبني عليها المبدع أعماله ،شهدت روايته "نزيف الحجر"احتفاء خاصا بالشخصيات، حيث جنحت بها من صورتها الطبيعية إلى صورة أخرى مغايرة تماما،لتكون هذه الرواية مغامرة جادة في الكتابة، فسلكت مسلك التجريب لتعطي للقارئ لمسة أدبية من أجل التوغل في النص بكل معانيه، واستكشاف خباياه الدلالية من خلال رصد أهم التحولات التي شهدتها شخصياته.

الكلمات المفتاحية :الشخصية، رواية الصحراء،نزيف الحجر ،إبراهيم الكوني.

Abstract:

The desert novel is one of the novels that has achieved great fame on the literary and critical scene recently, as its characters, settings, and even events were inspired by the nature of desert life.

The Libyan novelist Ibrahim El-Koni is considered one of the actual founders of this novel genre, as all of his novels stemmed from the details of desert life, and because the character in the work of fiction represents the foundation on which the creator builds his works, his novel “Bleeding of Stone” witnessed a special celebration of the characters, as it was translated into From its natural image to another completely different image, for this novel to be a serious adventure in writing, it took the path of experimentation to give the reader a literary touch in order to delve into the text with all its meanings, and explore its semantic secrets by monitoring the most important transformations witnessed by its characters.

Keywords: personality, desert novel, bleeding stone,Ibrahim El-Koni.

مقدمة:

تعدّ الشخصية النواة المركزية التي تُبنى عليها المادة السردية حتى تشكل نصا روائيا، فهي العنصر الحيوي الذي يتفاعل مع الأحداث السردية فيصنعها أو يسهم في تغييرها، كما تربطها علاقة قوية بالمكان حيث يمثل الفضاء الذي تنتقل فيه فتؤثر فيه وتتأثر به .

انطلاقا من ذلك تشكلت علاقة وطيدة بين رواية الصحراء و شخصياتها انطلاقا من العلاقات الاجتماعية التي تميزهم، حيث ينتظمون في قبائل و عشائر متفرقة هنا و هناك ،يرتبطون فيما بينهم بالنسب أو علاقات القرابة ،كما يحكمهم قانون خاص مستخرج من العرف العام.و هذا ما حاول الروائي الليبي إبراهيم منيف تجليته في روايته "نزيف الحجر" ،حيث طبع شخصياته الرئيسة بمجموعة من الخصائص جنحت بهم من الصورة الطبيعية إلى صورة أخرى مغايرة تماما،و هذا ما سنحاول إبرازه في هذه الورقة البحثية ،و لكن قبل ذلك يجب علينا أولا التعرض إلى المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للشخصية،يليه الحديث عن نشأة رواية الصحراء .

1- مفهوم الشخصية:

1-1-لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة "شخص":" الشخص جماعة شخص الإنسان و غيره مذكر ، و الجمع أشخاص و شخوص و شِخاص ، و الشخص سَوَادُ الإنسانِ و غيرِهِ تراه من بعيد ،تقول : ثلاثة أشخص ،و كلّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه ... الشخص : كل جسم له ارتفاع و ظهور ، و المراد به إثبات الذات ،فاستعير لها لفظ الشخص"[1] أي أن الشخص حسبه الذات الظاهرة للإنسان من خلال ارتفاعه و ظهوره .

و في القاموس المحيط وردت فيه مادة "شخص" بمعنى : " سَوَادُ الإنسان و غيرِهِ تراه من بُعْدٍ ج : أَشْخُصٌ و شُخُوصٌ و أَشْخَاصٌ . و شخص كمنع ،و شُخوصًا : ارتفع .و شخص بصرُهُ :

[1] ابن منظور : لسان العرب ،دار الجيل، بيروت ،لبنان،د ط 1988 ،مادة "شخص" ،مج 07، ص 45 .

فتح عينيه و جعل لا يطرف . و شخص بصرَهُ : رفعه ،و شخص من بلد إلى بلد: ذهب، و سار في ارتفاع ،و شخص الجرح :انتبر،و ورم ..."[1].

الملاحظ على تعريف الفيروز آبادي أنه أضاف معان أخرى أوسع مما وردت في لسان العرب حيث تنوع استخدام لفظة "شخص" بحسب المواضع التي ذكرت فيها .

أما في المعجم الوسيط فقد وردت على أنها:" الصفات التي تميّز الشخص عن غيره ،و يقال: فلان ذو شخصية قوية ، و ذو صفات متميزة ، و إرادة و كيان مستقل "[2] ،و هكذا فالشخصية تعني ما يميز الفرد عن غيره من صفات عقلية و جسمية و وجدانية.

1-2-اصطلاحا :

إن كلمة شخصية "مشتقة من الأصل اللاتيني(Persona)،و تعني هذه الكلمة القناع الذي كان يلبسه الممثل حيث يقوم بتمثيل دور أو كان يريد الظهور بمظهر معيّن أمام الناس فيما يتعلق بما يريد أن يقوله أو يفعله ،و قد أصبحت الكلمة على هذا الأساس تدل على المظهر الذي يظهر به الشخص ،و بهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص في الوظائف المختلفة التي تقوم بها على مسرح الحياة "[3].

و قد تعددت وجهات نظر النقاد إلى الشخصية في النص السردي ، فجيرالد برانس في معجمه يرى أنها: "كائن موهوب بصفات بشرية و ملتزم بأحداث بشرية ،ممثل متسم بصفات بشرية و الشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية (وفقا لأهمية النص) فعالة (حيث تخضع للتغيير)مستقرة (حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها و أفعالها)، أو مضطربة و سطحية (بسيطة لها بعد واحد فحسب،و سمات قليلة ،و يمكن التنبؤ بسلوكها) أو عميقة(معقدة لها أبعاد عديدة قادرة على القيام بسلوك مفاجئ) يمكن تصنيفها وفقا لأفعالها و أقوالها و مشاعرها و مظهرها ..الخ و وفقا لتطابقها مع أدوار معيارية (الشاطر و الشقي،و قليل الحيلة و الأنثى القاتلة و الزوج المخدوع

[1] الفيروز آبادي : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط8 ،2005م ، مادة "شخص" ص 621.

[2] إبراهيم مصطفى و آخرون : المعجم الوسيط ، دار العودة ، ج1 ، ص 475.

[3] سعد رياض : الشخصية أنواعها ، أمراضها و فن التعامل معها ، مؤسسة اقرأ ،القاهرة ، مصر ، ط1، 2005م ، ص 11.

)أو لنماذجها أو لتوافقها مع نطاقات معينة للفعل (كالمتعلق مثلا بالبطل أو الوغد)أو لتقمصها أدوار بعض العاملين "[1]. إن هذا التعريف يجعل من الشخصية الروائية شخصية واقعية مماثلة للشخصية البشرية .

و يعرفها عبد الملك مرتاض بأنها: "كائن حركي ينهض في العمل السردي يوظفه دون أن يكونه"[2] كما يعرفها بأنها هي التي "تسخر لإنجاز الحدث الذي وكّل الكاتب إليها إنجازهن وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوراته وإيديولوجيته أي فلسفته في الحياة"[3]، كما يرى أيضا أنّها "هي التي تصطنع اللغة وهي التي تثني أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة وهي التي تنهض بدور تضريم الصّراع أو تنشيطه من خلال أهوائها وعواطفها وهي التي تقع عليها المصائب وهي تحمل العقد والشرور التي تتفاعل مع الزمن وهي التي تتكيّف مع التعامل مع هذا الزمن في أهم أظرفه الثلاثة ماضي، حاضر، ومستقبل، من هنا نجد أن الشخصية الروائية تسند إليها أهم الوظائف في العمل الفنّي."[4] ؛و يقصد بذلك أنّ كل شخصية داخل الرواية تقوم بالعديد من الأدوار والوظائف كما أنّها عنصر فعّال ومحرّك داخلها.

كما عرّفها لطيف زيتوني صاحب "معجم مصطلحات نقد الرواية" بقوله: "الشخصية هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا أمّا من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف فالشخصية عنصر مصنوع، مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكوّن من مجموع الكلام الذي يصفها ويصورّ أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها."[5] ؛ ويقصد بهذا القول

---

[1] جيرالد برنس : المصطلح السردي ،ترجمة :عابد خزندار المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2003م، ص ص 42، 43.

[2] عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المرق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،د ط 1995، ص 126.

[3] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات ومفاهيم)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،دط، 1998، ص 16.

[4] المرجع السابق، ص 91.

[5] لطيف زيتوني، :معجم مصطلحات نقد الرواية ، دار المنار للنشر، لبنان،ط1، 2002م، ص 114.

أنّ الرّاوي عند توظيفه للشخصية يقوم بتصوير أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها ويتم من خلالها التعرف عليها والتفاعل معها.

بينما يعرفها حسن البحراوي بقوله: "إنّ الشخصية الروائية ليست هي المؤلف الواقعي وذلك بسبب هو أنّ الشخصية محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محدّدة يسعى إليها"[1].

أمّا غالي شكري فيعرف الشخصية بقوله: "إنّ الشخصية الفنية هي الشخصية الحيّة في حالة فعل، وهذا الفعل لن يكون إلا بتفعيله مع بقية الأشخاص في النص الروائي، التي تحدد علاقات مع غيرها و مكانتها التي تتبوؤها في النص من خلال انخراطها في الأحداث الروائية وفي شبكات العلاقات المتفاعلة فيما بينها."[2] ؛ أي أن الشخصية هي التي تتفاعل مع غيرها في النص لإنتاج الأحداث التي يكلفها بها الرّاوي لصنع الحدث في الرواية. نستنتج من التعريفات السابقة ضرورة حضور الشخصية في العمل الأدبي سواء كانت الشخصية حقيقية أو متخيلة وهو ما يتفق عليه الدارسون عند الغرب وعند العرب معا فلا وجود للقص من دون شخصيات.

ويبقى التعريف الذي أجمع عليه عدد من الباحثين المحدثين أشمل تعريف فالشخصية حسبهم : "كائن ورقي ينشأ إنشاء ، و هو كائن حيّ بالمعنى الفنيّ لكنه بلا أحشاء ، أو هو كائن قُدَّ من سمات و علامات و إشارات يمكن منها إنشاء خطاب ما ، فالشخصية إذن من عالم الأدب أو الفن أو الخيال ،و هي لا تنتسب إلا إلى عالمها ذاك "[3].

و الأكيد أن الشخصية مكوّن محوري في البناء السردي الروائي ، حيث لا يمكن تصوّر أيّ عمل أدبي سردي بدون شخصيات، فالشخصية هي المكوّن الذي تنتظم من خلاله معظم عناصر الرواية إن لم نقل كلها، فهي بمثابة العمود الفقري و المحرك الأساسي للأحداث الروائية.

2-نشأة رواية الصحراء:

[1] أحمد رحيم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد العربي الحديث،دار الصفاء،عمان ،الأردن،ط1 ،2001م، ص 181.

[2] عبد الرحمن بن بطو: بناء الشخصية المركزية وفضاء أيفل المدينة، قصة رمانة للطاهر وطاء أنموذجا محبة الأثر، عدد خاص أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب "الروائي الطاهر وطار" جامعة المسيلة، الجزائر، 23-24 فيفري 2011، ص 78.

[3] الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط1 ،2000م،ص98.

اهتم عدد من الروائيين بالصحراء ،فأنتجوا أعمالا روائية كثيرة كوّنت ما يسمى برواية الصحراء حيث ظهر كمصطلح في التداول النقدي في أواخر القرن الماضي،و لعل من أهم الأسباب التي ساعدت على بزوغ مثل هذا النوع الروائي تربع الوطن العربي على مساحة جغرافية شاسعة من الصحاري،و هو ما ساعد كثيرا من الروائيين خاصة من هم من أبنائها على إنتاج نصوص روائية نابعة من خصوصية الحياة الصحروية بشخصياتها و فضاءاتها .و هذا ما أكدّه الروائي إبراهيم الكوني في قوله:"اكتشفت أن الصحراء هي ما أعرف، وما عرف المبدع هو حلم المبدع، هو الفردوس في تجربة المبدع، هو الجنة الموعودة حتى لو كانت جنة من عدم كالصحراء "[1].

إن الصحراء كانت و لا زالت الموطن الأصلي للأدب العربي ،فهي منبع إلهام الشعراء و الأدباء بما تزخر به من تراث تاريخي و ديني و ميثيولوجي ،"فالعربي الذي عششت البداوة في وجدانه أصلا لانبثاق الجمال(الحياة والوجود)، وعجنت قيمها الجمالية ملامح ذوقه، ما انفك يعاني اغترابا واجهه في عالم الرواية المدينية –الوافدة إليه من ثقافات صنعت المدينة واختبرت علاقاتها المعقدة– ويتخبط في مسالكها المتعرجة باحثا في الغياب، عن أصل قديم يلوذ به تارة، ومتعثرا في واقع كسيح انتفى منه الشرط الثقافي والاجتماعي للرواية، تارة أخرى"[2] .

و بهذا يكون الروائي العربي باشتغاله على رواية الصحراء، قد نفى مقولة أن الرواية تولد من رحم المدينة فقط، "فالولادة الحقيقية لرواية الصحراء ،و تكريس عالمها سرديا،بما في ذلك تكليم الحجر و الرمل،وكذا نفخ الروح في الفراغ و السكون الصحراوي، لم يأت إلا مع الروائي الليبي إبراهيم الكوني ،هذا الأخير الذي فلسف الصحراء،و أصبغ عليها رؤيته التأملية ،و ذلك بتأثيثه السردي

[1] إبراهيم الكوني:عدوس السرى:روح أمم في نزيف ذاكرة،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ،لبنان،ط 1 ،2012 م ج1،ص 363.

[2] دليلة زغودي: نداء الملاحم في رواية الصحراء،مجلة الأثر،جامعة قاصدي مرباح،زرقلة ،الجزائر،العدد 31 ،جوان2019، ص 93.

للفضاء الصحراوي،عن طريق استثمار أساطيره وعوالمه الساكنة المدهشة ،حتى غدا هذا الفضاء المنمّط بسكونه ضاجا بالحياة"[1].

إنّ الروائي إبراهيم الكوني من المؤسسين الأوائل لرواية الصحراء ،فجاءت جلّ أعماله الإبداعية نابعة منها،و قد اخترنا منها رواية"نزيف الحجر" لندرس تحولات الشخصية فيها.

3-تحولات الشخصية في رواية "نزيف الحجر":

وظف إبراهيم الكوني في رواية "نزيف الحجر"مجموعة من الشخصيات ساهمت بشكل كبير في تنامي أحداث الرواية،من أبرزها أسوف و والده و قابيل ،حيث شهدت هذه الشخصيات تحولات على مستوى الأفكار و الأفعال أملتها عليها إما ذات الشخصية نفسها أو الظروف المحيطة بها.

3-1-تحوّل شخصية أسوف:

إن المتصفح لرواية "نزيف الحجر" لأول وهلة يلحظ أن شخصية أسوف قد خضعت لعدة تحولات أملاها عليها القدر،فرغم كونه راعي بسيط انعزل عن الناس ،ليتفرغ لرعي غنمه في الصحراء المترامية الأطراف،إلا أن ذلك لم يكن كما يظهر للعيان ،فتأقلمه مع البيئة الصحراوية بطبيعتها القاسية و حيواناتها الموحشة لم يكن اختياريا ،لأن حتمية القدر ألزمته بذلك،ففي أحد الأيام حين كان يرعى بقطيعه ،لفت انتباهه تيس عظيم مع قطيعه و حين أمعن النظر تبين له أنه ودان عملاق،فلم يشعر حتى وجد نفسه ممسكا عصاه و حبله محاولا صيده ،و بعد معركة شرسة بينهما كاد أسوف يفقد حياته بعد أن وجد نفسه معلقا في الهاوية ،لولا أن هذا الودان الذي حاول قتله هو نفسه من ساعده[2]، ومنذ ذلك الحين حدث تحول في شخصية أسوف من شخص سعى منذ صغره لصيد الودان إلى شخص آخر نذر حياته للدفاع عنه و حمايته من كلّ شخص يريد صيده.

---

[1] الصديق حاج أحمد: رقوش،لوحات سردية و حفريات أنثروبولجية من عالم الصحراء ،بوهيما ،تلمسان ،الجزائر،ط 1 2018م ،ص ص96،95 .

[2] ينظر: إبراهيم الكوني:نزيف الحجر،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ط3 ،1992م،ص 57.

إن القدر هنا لعب لعبته،ففي وقت مضى كان والد أسوف قد أخذ عهدا على نفسه بأن لا يصطاد هذا الحيوان أبدا لأنه انقضه من الهلاك،لكنه خلف بالوعد بعد أن جاع هو و زوجته الحامل،حيث قتل ودانا وأكلاه،فما كان له إلا أن فقد حياته جزاء لذلك،و لهذا لم يعلم ابنه أسوف بعد أن رزق به صيد الودان أبدا، لأنه يعلم بمصيره إن اقترب من هذا الحيوان[1]،لكن بتجدد العهد من جديد بين أسوف و حيوان الودان،نوقن بأن للقدر دور كبير في ذلك فرغم كل الصعاب التي سيتعرض لها أسوف تنفيذا لهذا العهد،إلا أن عليه الصبر ليقينه أن" الحياة لا تستقيم إلا بالصبر و الحيلة"[2]"،و هذا ما أوصاه به دائما والده:" أوصيك بالصبر.كيف تستقيم الصحراء بدون صبر ؟ من لم يوهب هذه النعمة لن يطيب له المقام في الصحراء،لا أحد يستطيع أن يتنبأ من أين يمكن أن تأتي النجاة من السماء أم من الأرض.المهم أن تصبر و أن تنتظر.الصبر هو كلمة السر"[3].

إن الصبر هو اليقين التي تشبث به أسوف ،فرغم قدوم قابيل هذا الوحش الآدمي و بحثه المتكرر عن الودان،إلا أن أسوف أنكر معرفته به أو بمكانه،لأنه يعلم إن أفشى السر سيكون مصيره كمصير والده الموت.يقول الراوي عن رحلة أسوف مع قابيل و مسعود للبحث عن الودان:" طوال الرحلة كان أسوف يصلي ،و يقرأ الفاتحة ،و يدعو الله ألا يأتي بودّان في طريقهم،و ما أن بلغوا الوادي حتى أمر قابيل بإيقاف السيارة،ترجل و تفقد آثار الودّان ...في تلك اللحظة حدث ما خشي منه أسوف طول النهار،من خلف صخرة أمامه بالضبط ،أطل ودان برأسه...أشاح بوجهه بسرعة إلى الناحية الأخرى ،حمد الله أن قابيل و مسعود لم يلحظا الحيوان العظيم"[4].فشرع في صلاة العصر و أعقبها مناجاة و تضرع فإذا بالودان اختفى.

رغم أن هذه الحادثة مرّت بردا و سلاما على حيوان الودان إلا أنها كانت هلاكا لأسوف فالقدر جعل الودان مرة أخرى سببا في موت أسوف ليس لأنه نكث بالوعد،و لكن لأنه احتفظ به،فقابيل لم يستوعب أن أسوف لا يعلم مكان الودان لذا صلبه و نحره،يقول الراوي:"لوّح قابيل

[1] ينظر: إبراهيم الكوني:نزيف الحجر ،ص 49.

[2] المصدر نفسه،ص 59

[3] المصدر نفسه،ص 69.

[4] المصدر نفسه ،ص ص 87، 88.

بالسلاح في الهواء مهددا ،فتراجع مسعود ،تسلق الصخرة من الناحية الأفقية،ضحك في وجه الشمس بوحشية،ثم انحنى فوق رأس الراعي المعلق ،أمسك به من لحيته و جرّ على رقبته بالسكين بحركة خبيرة خبرة من ذبح كل قطعان الغزال في الحمادة الحمراء ، لم يصرخ أسوفأو يعترض،و لكن مسعود هو الذي صرخ،فتردد صدى الصرخة في القمم المجاورة ،استجابت الجنيات بالنواح في الكهوف و تصدع الجبل،اسودّ وجه الشمس ...ألقى القاتل بالرأس فوق لوح من الحجر في واجهة الصخرة ،فتحركت شفتا أسوف و تمتم الرأس المفصول على الرقبة لا يشبع ابن آدم إلا التراب"[1].

إن أسوف شخصية مسالمة صبورة ،حدثت عليها عدة تحولات نحت بها إلى الإيجابية ،فبعد أن كان متلهفا لصيد الودان أصبح حاميا له،و بعد تسرعه اتسم بالصبر الذي أوصاه به والده لأنه مفتاح كل الأبواب المغلقة، لكن نهايته كانت مأساوية بالنسبة لنا ،أما هو فكان صبورا لا ينبس ببنت شفا ،في سبيل الوفاء بالوعد .

3-2-تحوّل شخصية قابيل:

خضعت شخصية قابيل لعدة تحولات منذ نعومة أظافره ، فهو لم يكن كبقية أترابه طفلا صغيرا بريئا ،بل كان وجه شؤم و نحس على كل من يرعاه بدءا بوالديه،حيث يقول الراوي:"مات الأب مطعونا بالسكين عندما حبلت به أمه،و ماتت الأم متأثرة بلدغة أفعى بعد ولادته بأسبوع،ورثت تربيته خالته،فسقته دم الغزال في إحدى الرحلات بالحمادة عملا بنصيحة أحد الفقهاء ،قال إنها التعويذة الوحيدة التي تستطيع أن تغسله من النحس و تحمي بقية أهله و أقاربه من العنة التي تلاحقه منذ أن كان نطفة في بطن أمه،و لكن الخالة و زوجها ماتا عطشا في تلك الرحلة،فالتقط ت قافلة عابرة الطفل الرضيع...و لم يكن رب القافلة ليلتقط الطفل لو علم بماضيه ،و لم يخطر له أن يكون هذا الملاك الصغير سببا في نكبته ،بارت تجارته ،و استولى قطاع الطرق في الصحراء على قطعانه و نهبوا القافلة"[2].

[1] إبراهيم الكوني:نزيف الحجر ،ص 146.

[2]المصدر نفسه ،ص 91.

فشخصية قابيل الطفل قد جنحت عن طبيعتها الاعتيادية المعروفة إلى أخرى ملعونة تلحق الضرر بكل من يقترب منها،أو يحاول مساعدتها.

و مما مسّ هذه الشخصية من تحول متعلق بكونها تشتهي أكل اللحم النيئ،و هذا ما لا يفعله الإنسان الطبيعي الذي يجمع في غدائه بين الأكل النباتي و الأكل الحيواني المطبوخ ،ففي أحد الأيام وجده رب القافلة الذي تبناه "يأكل اللحم النيئ من الطبق و أسنانه تقطر بالدماء في إحدى الرحلات التالية إلى كانو،عرض أمره على السحرة ،فطل الساحر أن يأتيه بشعرة من رأسه أو قطعة من ثوبه،فنع سوار الجلد من معصمه و قدمه للساحر ،و قال له أن السوار كان يطوّق عنق الطفل...ألقى بالسوار الجلدي في النار ..ثم تمتم محمر العينين:من فطم على دم الغزال في الصغر لن يستقيم حتى يشبع من لحم آدم في الكبر "[1].

و رغم المحاولات العديدة التي قام بها والده بالتبني لإبطال هذه اللعنة بزياراته المتكررة للسحرة و العرافين إلا أنها كلها باءت بالفشل.

و مع مرور الأيام و السنين ازدادت شراهة قابيل لأكل اللحم،و هذا ما ورد فيقول الراوي: "و مع ازدياد الذبائح ،ازداد استهلاكه للحم الآن يفطر بشاة ،و يتغذى بشاة،و يتعشى بشاة أو ربما أكثر "[2].

تعطش قابيل للدماء لم يكن طبيعيا،و هو ما جعل منه صيادا لا يؤمن بوجود قانون طبيعي للصيد،يجب على الجميع احترامه،كان شرها لا يهمه إلا اصطياد أكبر عدد ممكن من الحيوانات خاصة الغزلان لإيقاف صوت أسنانه الذي يطالب دائما بالمزيد،مستعملا كل الوسائل المشروعة و غير المشروعة،يقول الراوي:"مسكين الغزال البري لا يدري ،أن مجرد استخدام هذه الآلة الشيطانية خيانة للطبيعة و إخلال بقواعد الصراع النبيل و احتكام إلى أبشع أنواع الخديعة،و لكن قابيل لا

[1] إبراهيم الكوني:نزيف الحجر ،ص 92.

[2] المصدر نفسه ،ص 100.

يفكر كثيرا في الإخلال بقوانين الطبيعة ،ما يهمه هو أن يصطياد أكبر عدد ممكن من الغزلان ليطفئ لهيب أسنانه و يسكت جوفه ،و يبيع الباقي لضابط المعسكر الأمريكي"[1].

إن شخصية قابيل شخصية غير عادية،تتلذذ بأكل لحوم الحيوانات النيئة ،فإن لم تجد ما تأكله تزداد شراسة و بطشا إلى حد الجنون،و هو ما قامت به مع شخصية أسوف المسالمة ،فهو ببحثه عن الودان ، لم يكن بحثا عاديا لصياد يمكن أن يظفر بفريسته أو لا ،و إنما كان بحثه جنونيا نتيجته أن عذب أسوف و نحره،فقط لأنه لم يخبره بمكان الودان.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة يمكن أن نلخص النتائج التي وصلنا إليها فيما يلي:

– إنّ الشخصية هي الركيزة الأساسية في العمل الروائي، فمن دونها لا يكون للحدث أي قيمة أو معنى، فهي مركز الأفعال ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث من خلال تحرّكاتها والعلاقات فيما بينها.

–استطاع إبراهيم الكوني من خلال رواية "نزيف الحجر "أن يكسر القيود الكلاسيكية للرواية العربية، و يجنح نحو التجريب ،بتبني نوع جديد منها وهو رواية الصحراء .

–تمكن الكوني من تسليط الضوء على أبرز التحولات التي شهدتها شخصياته في رواية "نزيف الحجر" ،باعتبارها إحدى الروايات المنتمية إلى رواية الصحراء .

–شهدت شخصية أسوف عدة تحولات أملاها عليه القدر ،فمن راعي بسيط ،همه رعي أغنامه وصيده بين الفينة و الأخرى لبعض الحيوانات إلى حارس أمين للجبال و الوديان ،و مدافع وفيّ لحيوان الودان.

– انزاحت شخصية قابيل عن الطبيعة البشرية إلى أخرى متعطشة للدماء ،لا مكان للرحمة و الإنسانية في قلبها ،همها الوحيد إشباع رغباتها التي لا تنتهي.

[1]إبراهيم الكوني:نزيف الحجر، ص 98.

-إن روايـة "نزيـف الحجـر" أنمـوذج حـي للواقـع و الأزمـات الـتي يعانيهـا الفـرد منـذ صـغره و انعكاسها سلبيا إو إيجابيا على نفسيته.

قائمة المصادر و المراجع:

1-إبراهيم الكوني:نزيف الحجر،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ط3 ،1992م.

2-جمال الدين بن مكرم بن منظور :لسان العرب،دار الجيل، بيروت ،لبنان،د ط 1988 ،مج 07.

3-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط8 ،2005م.

4-إبراهيم مصطفى و آخرون : المعجم الوسيط ، دار العودة ، ج1.

5-سعد رياض : الشخصية أنواعها ، أمراضها و فن التعامل معها ، مؤسسة اقرأ ،القاهرة ، مصر ، ط1، 2005م .

6-جيرالد برنس : المصطلح السردي ،ترجمة :عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة مصر ، ط1 ، 2003م.

7-عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المرق" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،د ط، 1995.

8-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات ومفاهيم)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،دط، 1998.

9-لطيف زيتوني، :معجم مصطلحات نقد الرواية ، دار المنار للنشر، لبنان،ط1، 2002م.

10- أحمد رحيم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد العربي الحديث،دار الصفاء،عمان الأردن،ط1 ،2001م.

11- عبد الرحمن بن بطو: بناء الشخصية المركزية وفضاء أيفل المدينة، قصة رمانة للطاهر وطاء

أنموذجا محبة الأثر، عدد خاص أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب "الروائي الطاهر وطار" جامعة المسيلة، الجزائر، 23-24 فيفري 2011.

12- الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط1 ،2000م.

13- إبراهيم الكوني:عدوس السرى:روح أمم في نزيف ذاكرة،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ،لبنان،ط 1 ،2012 م ج1.

14- دليلة زغودي: نداء الملاحم في رواية الصحراء،مجلة الأثر،جامعة قاصدي مرباح،زرقلة ،الجزائر،العدد 31 ،جوان2019.

15- الصديق حاج أحمد: رقوش،لوحات سردية و حفريات أنثروبولجية من عالم الصحراء بوهيما ،تلمسان ،الجزائر،ط 1 2018م .